

واقع اللغة العربية في الإعلام المكتوب والمرئي والمسموع والإلكتروني

إعداد :

د. هيا من عبد الله محمد

حافظ إبراهيم الشاعر العربي يعاتب قومه الذين ابتعدوا عن لغتهم قائلًا :

فيا ويحكم أبلَى و تبلى محاسني

و فيكم و إن عزّ الدواء أساتي

فلا تكلوني للزمان فإني

أخاف عليكم أن تحين وفاتي

أرى كل يوم بالجرائد مزلقاً

من القبر يدينني بغير أناة

أيهجري قومي عفا الله عنهم

إلى لغة لم تتصل برواة

سرت لوثة الإفرنج فيها كما سرى

لعاب الأفاعي في مسيل فرات

فجاءت كتوب ضم سبعين رقعة

مشكلة الألوان مختلفات

المقدمة :

لن يضاف جديد في بيان حق لغتنا العربية ومكانتها وطبيعتها هويتها وجماليات أساليبها ومظاهر إعجازها فهي لغة القرآن الذي تحدى الله به سادات العرب على أن يأتوا بمثله ، فهم الذين نزل القرآن بلغتهم لكونهم فصحاء بلغاء يملكون أزمّة القول ، فاللغة هي النسيج الحضاري وهوية أي أمة وهذا المعنى شهد به الفلاسفة والمفكرين والمستشرقين في الغرب فها هو مثلا "فيخته" الفيلسوف الألماني يقول: (أينما توجد لغة مستقلة توجد أمة مستقلة لها الحق في تسيير شؤونها وإدارة حكمها) ، لذا إن كنا نفخر بأن لغتنا اللغة العربية لغة عالمية حضارية فهي من الناحية الوجدانية روح الأمة ، ومن الناحية الثقافية الوعاء والوسيلة الناقلة للأفكار والتقاليد والخبرات عبر الأجيال المتعاقبة على تاريخها ، ومن الناحية السياسية هي معالم الحدود الحقيقية للرقعة الجغرافية الوطنية والقومية، فإذا كانت اللغة كذلك فلائها تعتبر بدون منازع أفضل وسيلة للتخاطب بين الأفراد، والتعبير عن أفكارهم ، والأداة الوحيدة للاتصال بين الأشخاص، كما أن للغة أهمية كبرى لكونها أداة فعالة لشحذ الذاكرة ونقل المعرفة والتعبير عن المفاهيم ويأتي على رأسها لغة الإعلام المرئي والمسموع الذي ميعته العامية واللهجات الإقليمية فإذا كان الجندي يحتاج إلى بندقية ليحمي

الوطن، فالإعلام في حاجة ماسة إلى هويته والمحافظة على تراثه والاعتزاز به لنشر معارفه وحضارته بلغة أهل الجنة ولغة القرآن ، إلا أن واقع اللغة العربية في كثير من قنواته الإعلامية العربية يشهد تراجعاً وانهماكاً وتمييعاً بل واستهجاناً وما نشرته الإخبارية والأمسيات الشعرية والبرامج الحوارية في إعلامنا ببعيد ، فقد ابتعدت بعضها عن أصالتها لتحيا اللهجة المحلية بدلها ، فالمحافظة على اللغة العربية يجب أن يسهم في الحفاظ على قدرات الأفراد في المحيط الإعلامي من خلال المهارات والأنشطة اللغوية والتي ارتبطت بالتكنولوجيا حالياً ، وأن لا يوكل أفرادها إلى مجارات الضعف اللغوي واللحن النحوي الذي بلي به البعض وخاف منه حافظ إبراهيم فقال :

فلا تكلوني للزمان فإنني أخاف عليكم أن تحين وفاتي

ولعل هذه الوقفة تأتي لا لترکز على واقع اللغة العربية ورصد ظواهرها في إعلامنا من جميع زواياها بل لتستعرض المظاهر والأسباب التي أدت لها .

لذا يأتي هذا البحث " واقع اللغة العربية في وسائل الإعلام المسموع والمرئي والإلكتروني " لاعتبارات عديدة مجيباً عن تساؤلات أهمها :

1_ كيف يمكن للغة العربية أن تأخذ الصدارة في إعلامنا المرئي والمسموع ؟

2_ كيف تعد اللغة العربية لغة وثقافة وسلوك يستخدمها إعلامنا بالصورة المطلوبة والحضارية ؟ وبالتالي يمكن أن ندفع بها إلى الإنسانية جمعاء .

3_ هل الفصحح عاجز عن تقديم نفسه إعلامياً ؟ وما السبل للخروج من تمييع اللغة العربية في إعلامنا العربي ؟

لذا يركز البحث بشكل أساسي على واقع اللغة العربية في وسائل الإعلام المرئي والمسموع تحديداً بهدف تشخيص هذا الواقع وذلك للوصول في النهاية لبناء رؤية مستقبلية لما ينبغي أن تكون عليه اللغة العربية في هذه الوسائل .

المبحث الأول : لغة الإعلام

لغة الاعلام ، هي واجهةٌ أكيدةٌ وتحديدا في أيامنا هذه ،للمستهلك من أساليب التخاطب بين الناس بشكل عام ، وإذا كانت لغة المقروء تشهد التراجع في الكتاب والصحيفة الورقية ، مقابل سطوع مباشر للصورة المرئية، والرقمية ،فالمسؤولية إذا تتضاعف، ويمكن القول أننا فيما نراه ونتابعه ونسمعه من لغة إعلامية معاصرة، إنما نقف على لغاتٍ ولهجات، فكأننا في بابل حديثة، يختلط فيها الصوت بالصدى، وتغص الحنجرة بكل ما هو يفرق ولا يجمع !.

كأنما في المعلن تنتصر الصورة على الخبر.. كأنما يلتبس الصوتُ ،فلا يعود قادرا على القيام بواجب العناق والكشف والتوحيد، كأنما ثمة ما يخبّي وراء ما يحدث، بقصد أن تصاب لغتنا بالهذيان ، فلا نعود كعرب قادرين على التفاهم كما يجب أن تكون عليه الحال ، إذ الإعلام سلاح ذو حدين ،فإذ كان بالمستوى المطلوب لغة وأداء، أصبح مدرسة لتعليم اللغة، وهذا يعني أن وسائل الإعلام قادرة على تربية الملكات اللغوية ورعايتها وتنميتها مما ينعكس ايجابا على الإعلام نفسه، أما إذا تردى الإعلام إلى مستوى من الإسفاف، فإن ذلك نذير شؤم على تحوله إلى مستنقع آسن، يوشك أن يطال المجتمع بأسره ولا تسلم اللغة من عواقبه المؤذية.

لذا فالإعلام العربي الحديث ميعته العامية واللهجات الإقليمية ، فقد ابتعدت بعض قنواتنا عن أصالة اللغة مقابل تكريس اللهجة المحلية بدلها ، والكلام هنا لا يحمل اعتراضا على المحكيات، فالمحكية لغة التداول اليومي ، وكما في المملكة العربية السعودية لهجات مختلفة ، تميز منطقة عن أخرى ، ففي لبنان والمغرب وفلسطين والجزائر والخليج عموما لهجات متباينة ومختلفة ، وتكريس التلهيج على الفصيح، وتوسيع للصدوع، ووضع أبناء الدولة الواحدة في مواقع النفور لهجويًا، فكيف بواقع أمة برمتها ، فيها لغة جامعة، وكل وسائل إعلامها الحديث، يصوّب على الفصيح ، في محاولة لاغتيال البعد الجامع ،مقابل تكريس التفرقة.

هل ثمة تعمدٌ؟..

هل الفصيح يعجز عن التعبير؟

هل المحكية جامعة؟

هل بإمكاننا كمفكرين ولغويين تكريس محية واحدة لكل الألسنة تنوب عن الفصحي؟

لا اظن.. ثمة خيار أوحده، لغتنا لها قدسية المنزل والابداع، لها بلاغة الحرف والموسيقى ،والايقاع.. هي تحتاج احتضاننا لها.. تحتاج الذين يرفعون راياتها ، لكي تحقق انتصارنا نحن..

انتصار الفصيح ، ليس هزيمة للمحكي ..

هو استعادة للدور، ودور اللغة في الراهن العربي فيصلي ومحوري، وموصل لمعرفة هويتنا ومن نكون عليه حقا.

إذ المحافظة على اللغة العربية يجب أن يسهم في الحفاظ على قدرات الأفراد في المحيط الإعلامي من خلال المهارات والأنشطة اللغوية والتي ارتبطت بالتكنولوجيا حالياً ، وأن لا يوكل أفرادها إلى مجارة الضعف اللغوي واللحن النحوي الذي يلي به .

المبحث الثاني : واقع اللغة العربية

لا نجد أوضح وأصدق من المقولة العربية : " من لم يحترم نفسه لا يحترمه الغير " لنطبقها على العرب في هذا الخصوص، حيث إننا لا نكون منطقيين مع أنفسنا، وواقعيين مع التاريخ، أن ننتظر الازدهار والسيادة للغة العربية في وطنها، ونحن نضعها في المرتبة الأخيرة من اهتماماتنا الوطنية والإعلامية ، ف نجد من يعتبر اللغة مجرد وسيلة للتفاهم فقط ، وإذا حصل التفاهم والتعلم بين الأفراد بغيرها فقد ثبت المطلوب في نظرهم، وبالتالي يكون من قبل "التعصب" المطالبة القومية بأن تكون لغة التفاهم بين أفراد المجتمع العربي .

فاللغة عملة أبدية أزلية متداولة بين الناس، وإذا كانت الدول تُنشئ القوانين وتسنّ التشريعات لحماية العملة من التزوير فمن باب أولى أن تُصان اللغة من التدنيس والتدليس حتى لا يتعرض العلم والفكر الذي تحمله إلى الإفلاس. واللغة العربية باعتبارها مكون ارتكازي من مكونات الثقافة العربية وعنوان هوية المجتمع العربي الإسلامي وقناة إيصال وتواصل بين الأجيال تنقل أثار الأجداد إلى الأبناء وتحفظ أمجاد الأبناء للأحفاد، تعتبر ضرورة لبناء مهارات التواصل الإنساني، وهي محورية وأساسية في منظومة الثقافة لارتباطها بجملة مكونات من فكر وإبداع وتربية وتراث وقيم المجتمع العربي الإسلامي ، ومع تطور وسائل الإعلام بمجالاتها المختلفة، سيما المرئية منها وظهور شبكات الاتصال وتكنولوجيا الفضاء أضحت الحفاظ على اللغة العربية ضرورة أكثر من ذي قبل، وخصوصاً في

علمنا الإسلامي، وعندما يتعلق الأمر بحوار الثقافات والحضارات تتعاضم هذه الضرورة باعتبارها لغة رسمية للاتصالات الدولية ، وتأتي أهمية اللغة العربية في الإعلام المرئي أيضاً عندما نرى أن لغة الصورة أخذت موقعاً متميزاً صاحبه تراجع في استخدام اللغة العربية الفصحى في ممارساتنا وبرامجنا مع طغيان العامية ونتج عن ذلك كثير من الأخطاء اللغوية ، وتمييع للغة القرآن التي هي أشرف اللغات ولغة أهل الجنة .

إذ اللغة من الناحية الشعورية والوجدانية تمثل روح الأمة، ومن الناحية الثقافية تمثل الوعاء والوسيلة الناقلة للأفكار والتقاليد والخبرات عبر الأجيال المتعاقبة على تاريخ الأمة، وكانت من الناحية السياسية هي معالم الحدود الحقيقية للرقعة الجغرافية الوطنية والقومية، ومن

الناحية السيادية هي أهم أسس الهوية ومكونات الشخصية والوحدة الوطنية، لأية مجموعة بشرية، تعيش في انسجام على وجه الكرة الأرضية 1

ولقد تأكد من خلال القرن العشرين حين لجأت الدول المنتصرة عقب الحرب العالمية الأولى في اجتماعها "بفرساي" إلى تعيين الحدود بين الدول على أساس المناطق اللغوية، وحتى عندما تتشابك الثقافات في المناطق الواقعة بين أمتين كبيرتين، تكون اللغة عادةً هي المعيار الذي يحدد شخصية الإقليم المتنازع عليه 2

وقد استعمل موسوليني بالفعل هذه الفكرة لأغراض توسعية، إذ كان يحس بأن مطالبته بضم جنوب "تيرول" لن تكون شرعيةً إلا إذا قطن هذه المنطقة سكان ناطقون باللغة الإيطالية، مما جعله يشجع الإيطاليين على الهجرة إلى تلك المنطقة .

وفي هذا الخصوص يقول الدكتور إبراهيم مذكور رئيس مجمع اللغة العربية بالقاهرة : (ولا يفوتني أن أشير إلى أن النهوض باللغة ليس مقصوداً على المجامع وحدها، بل هو قبل كل شيء من صنع الكتّاب والأدباء والعلماء والباحثين ورجال الثقافة والإعلام) 3
فإن لغتنا العربية تتآكل على ألسنتنا وفي واقعنا حيناً بعد حين، فرغم خطورة الظاهرة وعمق دلالتها، فإننا لا نجد أحداً معنياً

مناقشتها ومحاولة البحث عن سبيل للتعامل معها !. " إن اللغة ليست منفصلة عن الواقع الاجتماعي والسياسي، وإنما هي تعبر عنه

سلباً أو إيجاباً، فحين تتمسك الأمة بثوابتها وتدافع عن هويتها وتعتز بها، فإن ذلك لا بد أن ينعكس على مواقفها وسلوكها ولغتها

بالضرورة " 4

مدخل إلى اللغة : يعتبر الاتصال والتواصل حق طبيعي كفه المولى عز وجل لبني البشر وهذا الاتصال لا يتأتى إلا باللغة، تلك اللغة التي لازمت الإنسان طوال مسيرة حياته ، هذه اللغة التي تعد من أهم مميزات الجنس البشري عن غيره من المخلوقات التي يتعامل معها في محيط حياته ووجوده على هذه الأرض، كما تعد وسيلة التفاهم ووعاء الحضارة بالإضافة إلى أنها ترسخ في عقول أبنائها منذ الصغر أفكاراً وعادات وتقاليد هي جماع الثقافة الخاصة بالمجتمع، ومن ثم فإن نظرة الفرد والشعب إلى الحياة والكون والوجود هي

1 تاريخ القوميات في أوروبا، الجزء 3، ص 213.

2 الدكتور صالح العقاد، دراسة مقارنة للحركات القومية في ألمانيا، إيطاليا، الولايات المتحدة وتركيا، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، 1967، ص 10.

3 عن صحيفة " المجاهد " الجزائرية"، 1996/09/24

4 عن صحيفة " المجاهد " الجزائرية"، عدد (184)، بتاريخ 1985/ 04 /17

غالباً نابعة من إرثه اللغوي الذي تربي عليه ، لذا كان من الطبيعي أن تحظى اللغة باهتمام الشعوب على امتداد التاريخ الإنساني، وقد تمثل هذا الاهتمام في الآتي :

1_ إن الإنسان بطبيعته ينزع إلى البقاء، وهو يعلم أنه ميت فإن ، ولذا فإنه يريد أن يبقى لنفسه ذكراً بين أجياله المتلاحقة، ووسيلته الأولى إلى ذلك تسجيل ما يريد لغوياً

2_ مشاركة اللغة في التسجيل عبر الصور والرسوم والفخار والمعادن وغيرها، وهذا كله بدافع إبقاء الذكر الذي يمثل كل ما يفكر فيه الإنسان.

3_ لا تكاد توجد أمة لم تقم بدراسة لغتها ووضع القواعد الكفيلة بفهمها وتيسيرها لتعليمها

وعلى الرغم من أهمية اللغة إلا أن العلماء القدامى منهم والمحدثون اختلفوا في تعريف اللغة ومعرفة ماهيتها ومن أبرز تلك التعريفات ما يلي:

1_ "قال ابن جني في حد اللغة: "أما حدها فإنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"5

2_ و قال الأسنوي 6 في شرح منهاج الأصول : " اللغات عبارة عن الألفاظ الموضوعة للمعنى."7

ويرى البعض أن التعريف الذي قدمه ابن جني متكامل لأنه يشمل عدة جوانب هي:

1 - أن اللغة أصوات.

2 - أن اللغة تعبير.

3 - أنها تعبير يعبر بها كل قوم.

4 - أنها تعبير عن أغراض .

5 « الخصائص » أبو الفتح عثمان بن جني، ج 1، ص. 32، بعة القاهرة 1371هـ (1952) ولد سنة 321هـ مات سنة 392هـ.

6 هو عبد الملك عبد الله بن يوسف الجويني الملقب بإمام الحرمين بني له نظام الملك المدرسة النظامية بنيسابور، توفي سنة 478هـ.

7"المزهر في علوم اللغة وأنواعها" لجلال الدين السيوطي صفحة 8، ج1، طبعة القاهرة بدون تاريخ

وفي تقديري أن معظم التعريفات متشابهة إلى حد ما وخصوصاً وأنها لا تختلف كثيراً عن تعريف ابن جني ، كما أن كثرة التعريفات ليس فيها ضرر على اللغة بل هي محاولة لاكتشافها وسبر أغوارها ، والمتتبع لتاريخ اللغة يتبين له أنها لم تستكمل مقوماتها إلا بمرور مراحل متعاقبة إلى أن تطورت ودخلت من كونها ظاهرة "النمو اللغوي لدى الإنسان" إلى مرحلة القوانين وضوابط اللغة. وإذا قلنا بأن اللغة هي المعيار لبيان حدود أمة، فلأن خاصية كل لغة تترك أثرها على نفسية الشعوب وطريقة تفكيرها، وهي الذكريات المشتركة للأمة،

وانطلاقاً من كل الحثيات السابقة يكون حديثنا عن واقع اللغة العربية مركزاً على مجال الإعلام المرئي والمسموع ... ونقسمه من الناحية المنهجية إلى عدة عناصر متكاملة نرتبها على النحو التالي :

أولاً : قيمة اللغة العربية في ذاتها كلغة قومية، متكاملة العناصر، وذات خصائص علمية وأبعاد تاريخية ودينية وحضارية عالمية
تنحدر اللغة العربية الحالية من اللغة السامية كما هو معلوم، وهذا راجع لوظائفها المختلفة 8 وتمتد بتاريخها إلى قرون عديدة قبل ظهور الإسلام... وإذا كانت لها نظريات عديدة من اللغات التي تشترك معها في الأصل، إلا أنها تميزت عنها جميعاً بقوة الصمود، والمحافظة على الروابط التي تصلها باللغة الأصل، ويرجع ذلك إلى عدة عوامل تاريخية وجغرافية ودينية، يأتي في مقدمتها ارتباطها بكتابها المقدس الذي حفظته وحفظها بكيفية مكنتها من التغلب على جميع اللغات

8. وظائف اللغة عديدة أهمها :

1_ الوظيفة الاجتماعية للغة إذ هي وسيلة التواصل والتفاهم بين الناس ، والى جانب ذلك فهي وسيلة التعامل مع المواقف الحياتية التي تتطلب استخدام اللغة في استماع وتحدث وقراءة وكتابة

2_ الوظيفة النفسية للغة وبها يتمكن الإنسان من النطق والتعبير الجيد بطلاقة مما يشعره بالطمأنينة والإحساس بالرفعة، ويدفعه ذلك إلى مزيد من الرقي والثقة بنفسه وعدم الخجل أو الاضطراب أو الخوف

3_ الوظيفة الفكرية للغة وتعني أنها تكشف عن علاقة حميمة بين الفكر واللغة، إذ أن بينهما ارتباطاً عضوياً فالفكر مخزن في عقل الإنسان لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى ، ولكي يخرج الإنسان أفكاره إلى حيز الوجود فلا بد من قالب يصب فيه تلك الأفكار وضبطها ودقتها فمن الثابت أن عملية التفكير في حد ذاتها لا يمكن أن تكون إلا باستخدام ألفاظ دالة على معانٍ محددة تساعد على إتمامها

4_ الوظيفة الثقافية للغة فحضارات الأمم في الواقع تقاس بدرجة ثقافة أفرادها وبمقدار ما لديها من معالم التراث الثقافي والحضاري، والحضارة لا تخرج من كونها مجموعة من القيم والنظم ، وهذه القيم والنظم التي تكون الحضارة يتمسك بها الإنسان إلى درجة الإيمان بها، ومن ثم فإن كل مجتمع يحرص على تطور قيمه ونظمه

وجعلها هذا التميز الرباني تؤثر في كل اللغات أكثر مما تأثرت بها، وأقوى دليل على ذلك أن أية لغة في العالم اليوم لا تكاد مفرداتها تصمد في الاستعمال بالألفاظ والدلالات ذاتها لعشرات السنين دون تغيير، مثلما هو الشأن بالنسبة للغة العربية التي نتحدث بها اليوم بالكيفية اللفظية والدلالية ذاتها التي كان يتحدث بها القرشيون في مكة المكرمة لحظة نزول القرآن الكريم، في حين يصعب إن لم نقل يستحيل أحياناً أن نقرأ نصّاً لديكارت أو شكسبير أو مولير أو نص أدبي إنجليزي أو فرنسي أو إسباني أو ألماني مكتوب في القرن التاسع عشر دون أن نستعين بالمناجد ذات الشروح المتعددة الخاصة لتطور الدلالات اللفظية للمفردة ، ويؤكد هذا المعنى ما ورد في كتاب "مجمع اللغة العربية" بالقاهرة تحت عنوان : "اللغة العربية لغة عالمية" ، حيث جاء ما نصه : تساءل الناس منذ ربع قرن أو يزيد عن موقف العربية من اللغات العلمية الكبرى، فعدها قوم واحدة منها، وأنكر عليها ذلك أقوام آخرون، وسبق أن أثبتنا أنها كانت في الماضي ولعدة قرون اللغة الوحيدة للعلم والفلسفة في العالم بأسره (من القرن الثامن إلى القرن الثاني عشر الميلادي)، ثم انضمت إليها اللاتينية فأخذت منها واتجهت عن طريقها إلى كنوز الحضارات القديمة... وبرهنا على أنها جديرة بأن تستعيد مجدها، وليس في طبيعتها ما يعوق مطلقاً دون أن تؤدي كل متطلبات العلم والحضارة، ومنذ النصف الأخير من القرن الماضي أخذت تجدد نشاطها وتتدارك ما فاتها، وحظيت بإنتاج وفير ومتنوع ، وأقامت العربية الدليل على حيويتها وعلى قدرتها على البقاء، ولم تجد الهيئات الدولية بدأً من أن تعترف بها وتقدرها قدرها... وقد بقي هذا القرار لسنوات عديدة بين تأييد ومعارضة، إلى أن أخذ به في المدة الأخيرة، وأصبحت اللغة العربية في المؤتمرات والاجتماعات الدولية على قدم المساواة مع اللغات العالمية الكبرى "

9

ورحم الله حافظ إبراهيم حين قال في وصف لغة القرآن :

أنا البحر في أحشائه الدرّ كامن فهل سألوا الغواص عن صدفاتي

ثانياً : تقويم استعمال اللغة العربية الراهن في البلاد الناطقة بها وتحديد مظاهر وأسباب هذا الخلل الواقع بين ما هو كائن وما يجب أن يكون ، وإذا كنا قد حددنا ما للغة العربية من خصائص ومميزات في ذاتها، بما لا يترك أي مجال للشك في قيمتها العلمية والحضارية، بما يسقط كل الذرائع التي قد تقدم في هذا الخصوص بالنسبة لأعداء هذه اللغة الذين يتربصون بها الدوائر في الخارج والداخل لأسباب متعددة، قد تختلف في المنطلقات، ولكنها كلها تصب في هدف واحد، هو القضاء على أهم أسس ومكونات الأمة وتقويضها من الداخل، بعد أن فشلت كل محاولات الأعداء للقضاء عليها من الخارج ، ...

وإذا كان من البديهي القول بأن استعمال أية لغة يتطلب بالضرورة حداً أدنى من إتقانها، ثم امتلاك الرغبة في ذلك بسبب ربط التعلم ذاته، وكذلك الاستعمال بمنفعة ما ذاتية أو إلزام خارجي اجتماعي أو ديني أو اقتصادي أو سياسي أو إداري... فإننا نتناول هنا سبب هذا القصور الشنيع في استعمال اللغة العربية في واقع الناطقين بها لمعرفة مختلف الأسباب والعوامل الذاتية والموضوعية التي أدت إليه ، وفي هذا الخصوص نورد هذه الشهادة (من أهلها) للأستاذ فهمي هويدي الكاتب والباحث المهتم بالهم الحضاري العربي والإسلامي، حيث يقول ما نصه: (... سياسة الانفتاح المنفلت التي أنتجتها الدول العربية بدرجات متفاوتة، حيث أدت إلى ما نشهده من هجوم واسع النطاق للسلع الأجنبية متوازياً مع هجوم للثقافة الأجنبية... حتى أصبح الذين يجيدون اللغات الأجنبية هم المتميزين اجتماعياً واقتصادياً، وصارت المدارس الأجنبية تحظى بإقبال غير عادي، بل وجدنا بعض الجامعات الوطنية تفتح فروعها للتدريس باللغات الأجنبية، الأمر الذي لا يخلو من مفارقة " 10 ، ومع ما تمتاز به هذه الحقبة من تفجر عام في تكنولوجيا الإعلام والاتصال، استحال بموجبها العالم إلى قرية صغيرة يسعى فيها الأقوياء تكنولوجيا وإعلامياً إلى فرض لغتهم على الآخرين يجدر بنا التساؤل عن واقع استخدام اللغة العربية في وسائلنا الإعلامية المرئية قبل الحديث عن آفاقها المتوقعة في ظل التحولات المتهافنة على جميع الأصعدة محلياً وإقليمياً وكونياً ؟

المبحث الثالث : اللغة العربية في وسائل الإعلام المرئية والمسموعة :

إذا كانت اللغة تعني حسب تعريف ابن جني الذي مر معنا أنها : " مجموعة أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم "، فهل يكفي رجل الإعلام أن يظهر على الشاشة ويتحدث حتى يفهمه الجمهور ؟ ذلك أن كثيراً من وسائل الإعلام المرئية كانت تعتقد واهمة أن الجمهور يفهم رسائلها، في حين أن العكس هو الصحيح. وعليه فهما " اختلفت لغة وسائل الإعلام، فإنها تخضع لحقيقة بسيطة وهي: الوضوح ، والدقة ، والمباشرة " 11 ، فاللغة في التلفزيون حقيقة تتعرض يوميا لموجات من التشويه والتحريف، والواقع أن لغة التلفزيون في شتى البرامج والأفلام تخترق حرمة اللغة الخاصة التي يكونها كل إنسان لنفسه وتتكون فيه من خلال عائلته وبيئته ووطنه

10. المرجع السابق كتاب الدورة 43 للمجمع اللغوي بالقاهرة، مرجع سبق ذكره، ص 16.

11. نصر الدين لعباضي، مساءلة الإعلام، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر، 1991، ص 159

، وبالمقابل فإنه لا يُطلب من رجل الإعلام أن يتحدث إلى الجمهور بلغة سيويه، بأن يبالغ في التقعر والتفاحص، وإنما أقصى ما يُطلب منه هو احترام قواعد اللغة والمعايير المنظمة لها، مما يضيف على أسلوبه مسحة من الأناقة والجمالية، وينأى به عن الإسفاف والرداءة والقصور، وعليه يجدر بمن يتصدى لمهنة الإعلام أن يُحسن التقدير في إبلاغ رسالته إلى الجمهور بحيث يوصل محتواها إلى المتلقي دون التجني على اللغة تطرفاً أو قصوراً.

فرغم الوعي بالحاجة إلى أهمية تجديد الصيغ الإعلامية وجعلها متناسبة مع التطور التقني المهول لوسائل الاتصال وتنوعها، فإن الوعي باللغة لا يختلف عن الوعي بالحرية، أو الوعي بالآخر. 12 ، وقد أشارت إحدى الدراسات التي حاولت رصد دور بعض البرامج التي تبثها بعض الإذاعات والتلفزيونات العربية في تلبية احتياجات الأطفال إلى أن اللهجة العامية هي الغالبة على البرامج الموجهة للطفل، يليها استخدام لهجة تجمع بين الفصحى والعامية، مما يشير إلى أن برامج الأطفال لا تسهم بدورها المفروض في الارتقاء بالمستوى اللغوي للأطفال 13

وفي دراسة أجريت على عينة من الشباب الجامعي حول دور الفضائيات العربية في نشر الثقافة العربية، ذكر نسبة (45%) من الباحثين أن القنوات الفضائية العربية أدت إلى تحريب الذوق اللغوي العربي من خلال استعمال العامية الفجة، ومسلسل الأخطاء اللغوية الشائعة والمتكررة، والتوظيف السيئ لأسماء البرامج، إضافة إلى ضعف مستوى مقدميها، ولمواجهة عصر الكوكبية والتفجر المعرفي المتنامي لثورة الاتصالات والمواصلات، والسماء المفتوحة، كان لابد من الرجوع إلى اللغة العربية بوصفها بوتقة الانصهار العربي والوجداني والفكري لأمة عربية واحدة، فاللغة العربية هي التي تصنع وحدة الفكر والعقل 14. واستعمال الفصحى لغة للإعلام ليس مطلباً عسير المنال، فلغة الإعلام هي الفصحى السهلة المبسطة في مستواها العملي... والمرونة والعمق، وهي الخصائص التي تجعلها تنبض بالحياة والترجمة الأمينة للمعاني والأفكار، والاتساع للألفاظ والتعبيرات الجديدة، التي يحكم بصلاحياتها الاستعمال والذوق والشيوع 15 ، وعلى الرغم من غنى اللغة العربية وقدرتها الدائمة على استيعاب مختلف التطورات، وقابليتها المستمرة للتجديد والتكيف مع التطورات، فإن دعاة وأحبار العولمة ما فتئوا يروجون لاغتياال اللغات القومية، مشككين في جدوى قدرتها على الحيلة

12. عز الدين ميهوبي، القاموس الإعلامي: صحافتنا وتعويم اللغة، يوم دراسي حول دور وسائل الإعلام في نشر اللغة العربية وترقيتها، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 15 يوليو 2002، ص 36

13. سوزان اقليني وعزة عبدالعظيم، الأنماط الثقافية والتربوية والسلوكية (البرامج التنشيطية والدرامية مثالا)، الإذاعات العربية، ع 01 اتحاد إذاعات الدول العربية، تونس 2002، ص 111.

14. محمد إبراهيم عيد، الهوية والقلق والإبداع، دار القاهرة، القاهرة، ط 1 2002، ص 64.

15. عبد العزيز شرف، الإعلام الإسلامي وتكنولوجيا الاتصال، دار قباء القاهرة، 1998، ص 107

في عصر الكوكبة، ولاشك أن هذه النظرة على ما يطبعها من تحيز تقوم على "عنصرية واضحة تتهم فيها اللغات العريقة بالمحدودية والفقر... وترتكز هذه النظرة الدونية للغات الأخرى على وهن طبيعة اللغة العربية مثالا، وضعف قابليتها للتكنولوجية اللغوية والأدبية والثقافية .

ولما كانت اللغة العربية لغة القرآن ودين الإسلام تربط بين المسلمين في الدين والقيم الإسلامية مهما تباعدت أوطانهم لذا دأبت بعض الجهات الإعلامية على تشويه اللغة مستخدمين الآتي :

1_ ترويج اللهجات العامية بدعوى أن اللغة العربية معقدة، وقواعدها كثيرة يتعذر على الأجيال استيعابها، وأن اللهجة العامية لغة السواد الأعظم من الناس؛ لذا من الضروري الحفاظ على التاريخ الشعب وتراثهم، وقد لقيت هذه الدعوى انتشاراً في تركيا بعد عزل السلطان عبد الحميد ، وسادت لغة ملفقة من العامية المحلية والعربية الملحونة والأوربية المستوردة، كما استجابت شعوب البلاد العربية لتلك الدعوى، وساهمت وسائل الإعلام في ذلك إلى حد كبير عن طريق القصة والمسرحية، والأغنية؛ 16 .

2_ الدعوة إلى الحداثة والتجديد في اللغة العربية وإلغاء شعر القافية والتفعيلية باستعمال اللهجة العامة في الشعر، بدعوى أنه أيسر إنشاء لدى الشاعر، وأسرع فهما لدى السامع، وقد روج هذه الدعوى بشكل أكبر مستغريون عرب؛ وذلك كلما تحدثوا- شفهيّاً أو تأليفاً- عن الواقعية في الأدب العربي لإبعاده عنها، والواقع خلاف ذلك؛ لأن الواقعية لا تعني التصوير المباشر للواقع ولا النقل الآلي؛ وإنما التصوير الفني للواقع، ولا بد في الفن من حرفة خاصة تكمن في القاعدة الضابطة للتعبير والتفعيلية الضابطة للشعر العربي الأصيل بحكمته وسحره وأسرّه للمشاعر، وتأثيره في السلوك. 17

هذا وقد راجت هذه المشكلة على البسطاء المثقفين والإعلاميين ومنفذي ومنتجي البرامج وخاصة من يشعر منهم بالنقص تجاه الغرب والذي افتقد من نفسه الثقة في الذات .

سبيل العودة إلى اللغة الفصحى في إعلامنا العربي المسموع والمرئي :

إن البيئة ينشأ فيها العربي ويتعرع حتى يكبر مشحونة باللهجات العامية واللغات الأجنبية، ابتداءً من الأسرة ثم المدرسة ثم وسائل الإعلام ثم الكتب الثقافية والمجلات اليومية، إنه من زخم يحول بينه وبين لغته الفصحى، وإن أهم سبيل العودة إلى اللغة العربية اعتماداً واعتزازاً لا يتم إلا ب :

16- المهارات اللغوية وعروية اللسان ، د . فخر الدين قباوة ص 16_ 17 .

17- أساليب الغزو الفكري ، د . محمد جريشة ص 71.

- 1 - تعديل نظام التعليم في العالم الإسلامي؛ لأنه يرى النشء من الصغر على تداولها والنطق الصحيح بها، ومن ثم الاعتداد بها، وخير وسيلة عملية تطبيقية لتفاعل المسلم معها هي بتعليم القرآن الكريم وتكرار تلاوته، ومن ثم الحديث النبوي الشريف لأنهما المورد الأساس للفصحى.
- 2 - غرس القناعة بأن اللغة العربية أكثر صلاحية للحياة العلمية والدينية والاجتماعية والفنية وغير ذلك من اللغات الأخرى؛ وذلك لدقتها المنهجية المنضبطة من جانب ثم مرونتها من جانب آخر.
- 3 - تأصيل المناعة من تأثير رياح الغرب وتياراتها العاتية في عقول ونفوس الشباب المسلم.
- 4 - الممارسة العلمية للغة العربية الفصحى في البحث العلمي المعاصر، وإعطاء النظريات العلمية الجديدة المسميات العربية.
- 5 - تنشيط دور مجامع اللغة العربية، والمطالبة بأن تكون قراراتها ملزمة في جميع ما يخص المسميات الجديدة

خاتمة:

يحسن بنا الإقرار بأن اللغة العربية لم تنل حقها بإنصاف على سطح وسائل الإعلام المرئية والمسموعة، فعلى الرغم من أن عدد القنوات الفضائية العربية يزيد عن 200 قناة، حكومية وخاصة وعامة ومتخصصة، إلا أن البرامج التي تُقدم بالفصحى قليلة، وأغلبها سيء التنفيذ والإخراج ويغيب فيه الاهتمام بجماليات اللغة العربية، أما معظم البرامج والمحتويات الأخرى فإنها أكثر ميلا إلى توظيف العاميات المحلية واللهجات الممزوجة بالألفاظ الأجنبية، بل تميمع اللغة العربية وجعلها كالدجاجة التي فقدت ريشها، والغريب أن هذه العدوى تسللت إلى بعض البرامج الثقافية التي بدأت تنزع إلى تطعيم نفسها بالعامية نزولا عن رغبة الجمهور الذي كان من المفروض أن يرتقي هو بنفسه إلى مستوى فهم هذا الخطاب، ولذلك لا نبالغ إذا قلنا أن تفصيح لغة وسائل الإعلام أضحت فكرة غير مستساغة لدى الكثير من القائمين على الإعلام في الوطن العربي، وتلخيصا لما سبق للإرتقاء بلغتنا العربية في الإعلام بشقيه المسموع والمرئي لا بد من التركيز على الآتي:

- استغلال الرسالة الإعلامية للفضائيات العربية بما يخدم اللغة العربية ويساهم في الارتقاء بها، من خلا ضبط النشاط التلفزيوني وإخضاعه للسياسة التربوية الشاملة.
- أن نؤمن بأن الانتصار للفصحى في لغتنا الإعلامية، ليس هزيمة للمحكي.. أو اللغة البيضاء، لأن اللغة العربية أكثر مواكبة للتطور المعرفي والتقني للحضارة المعاصرة،

▶ إنتاج المصطلحات العربية وترويجها إعلاميا والمتابعة المستمرة لأنشطة المجامع اللغوية ومراكز التعريب وتوظيف جديدها إعلاميا حتى تجد هذه المفاهيم طريقها للذبيوع الجماهيري .

▶ نقل الوعي باللغة من مستوى النخبة إلى مستوى الجماهير، وذلك ليس معناه النزول باللغة العربية إلى دركات الإسفاف والابتذال لتصبح اللغة العربية لغة تفكير إعلامي وعلمي تتكيف مع التحولات وتفي بغرض واقع الحال، وتحتفظ بأصالتها وقوتها بحيث تؤدي الغرض وتنقل المعنى بجزالة التعبير وسلامة الأسلوب.

▶ تنمية القدرات اللغوية لدى المذيعين وتنقية الفضائيات من شوائب الخطأ اللغوي واللحن ، فإن اللغة مهددة بالتحول إلى مجموعة من البرك الآسنة التي تشوه اللغة وتجعلها عرضة للأمراض والأوبئة.